

أنتِ تتألمين ولكنكِ تجهلين ما يدفع عنكِ هذا الألم المخيف ... فاذكري نوبات الحيرة وتبكيك الضمير التي كانت تساورك حين تحضرين إليّ، واذكري كيف كنا نفترق وقد هدأت نفسك بعض الهدوء واستراح ضميرك بعض الراحة ... كان اهتمامي بكِ حتى بالغضب عليكِ يفرج شيئاً من الضيق الذي يسد عليكِ منافذ الأمل؛ لأنه يعطيكِ فكرةً عاليةً في نفسك، فيعزيك ويقويك ويرفع عنكِ ذلك الصغار الذي يسمم كل شعورٍ وينغص كل نعيم.

اذكري كيف كان وجهك يشرق بالبشاشة من عهد قريب، وكيف ظهر ذلك على صحتك وملامحك، فسألتني في يومٍ من الأيام بين الجد والمزاح: أصحيح؟ أصحيح أن وجهي يمتلئ ويحلو؟ كان ذلك وأنتِ تشعرين إلى جانبكِ بنفسٍ إنسانيةٍ تحنو عليكِ وتفكر فيكِ وتجتهد في عذركِ ما استطاعت، وترعك في الغيبة والحضور، وهذا أحوج ما تحتاج إليه المرأة خاصةً في هذه الحياة. فكل امرأة — كل امرأة بلا استثناء — في وسعها أن تجد رجلاً يأخذها جسداً ويطرحها سائماً بعد حينٍ بلا أسف ولا شكر ولا احترام.

ولكن ليست كل امرأة واجدة تلك النفس العطوف التي تفهم الدنيا وتفهمها وتحب لها الخير لغير غايةٍ وتهتم بها وحدها بين جميع الناس، وتراها أهلاً للرضى والغضب والشكر واللام.

أنتِ أم فاذكري ذلك جيداً.

أنتِ فتاةٌ ذكيةٌ متعلمةٌ حساسةٌ يقل بين الفتيات مثلكِ في هذه الصفات، فلا تنسي عزتكِ التي تليق بكِ ولا تنزلي قدركِ منزلاً لا ترضاه لقدرها كل فتاة، واسألي نفسك مرةً أخرى: هل وصلت امرأةً إلى العاقبة المخيفة — إلى المرض والهوان — من غير هذه البداية؟ وهل وصلت امرأةً إلى تلك العاقبة وهي تظن أنها واصلت إليها أو قريبة منها؟ كلا! ... كلهن يا صديقتي يحسبن أن النهاية بعيدة، وأن الاحتراس كافٍ للأمان الدائم والنجاة من عاقبة غيرهن، والعاقبة واحدة على كل حال!

ولستِ أنتِ لسوء حظكِ كأولئك النساء اللواتي تحوطهن حمايات كثيرة وقربات مشتبكة تستر العيوب وتضلل الشبهات.

فأنتِ في حياة التجرد والانفراد عرضة لكل شيء وفريسة رخيصة لكل وائسٍ أثيم، وكم جنى عليكِ حرمانكِ من أنس القرابة الشفيقة وحنان الأم